الأنساق الثقافية في الخطاب الزينبي(خطبة الشام أنموذجاً)

م.د. رعد هوير سويلم

كلية التربية الأساسية – جامعة ميسان

الملخص : يسلط البحث الضوء على حقيقة من حقائق التاريخ الإنساني، والتي طالما حاولت العروش السياسية الظالمة طمسها، وكبح جماح المعلنين عنها، وهو ما حاولت السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) بيانه في وثيقتها التاريخية، والبحث هنا لا يدرس الخطاب الزينبي دراسة تاريخية، إنما يتناول الانساق الثقافية فيه من خلال تشريح النص وبيان المنطلقات الموروثة في ذلك الخطاب، والتي ساعدت في تنقله من عصر إلى آخر، وصولا لعالميته متخذا من وسائل انتشار الخطاب وتلقيه من خلال التقدم التكنولوجي في وسائل التواصل، وتسارع المتلقي في تلقيه للمطروح الثقافي، والحكم على ذلك المطروح ومدى تقبله أو رفضه.

كلمات مفتاحية: الأنساق الثقافية، المتلقي ،الخطاب، العالمية.

Abstract: The research sheds light on one of the facts of human history, which has long tried to obscure the unjust political thrones, and restrain the advertisers, which is what Ms. Zainab bint Ali (peace be upon them) in his historical document, the research does not study the discourse Zinbi historical study, but deals with Cultural harmony through anatomy of the text and statement of the legacies inherited in that speech, which helped to move it from one age to another, to reach its universality, taking the means of the spread of the speech and receive it through technological advances in the media, and the acceleration of the recipient in receiving the cultural .subtractor, and judged on it. And Acceptance or rejection

.Keywords: cultural formats, recipient, discourse, global

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين نبينا وحبيب ربّ العالمين محمدا واله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد

يُعد الخطاب وسطا ناقلا للحجج التي يطرحها (المتكلم/الخطيب)، والتي تساعده في بيان حجته اولا، ونقل مظلوميته، و حقه المهضوم ثانيا. ولا يخفى على (المتكلم/الخطيب) في خطابه ما يُواجه من تجاهل (المتلقي /الظالم له)، ومحاولة تعتيم الطريق أمامه، وإخفاء حقيقة قضيته من خلال جملة من المعوقات التي يعمل على زرعها في طريقه لإخفاء حقه، وكتم صوته، واماتت صرخته. والبحث الذي نحن بصدد دراسته يسلط الضوء على حقيقة مهمة من حقائق التاريخ الإنساني، التي طالما حاولت العروش السياسية طمسها، وتضييع حقيقتها، وكبح جماح المعلنين عنها، ولكن صرخات المظلوم المنادي بظلم من أوقع حيفه عليه تكون أعلى صوتا، واشد وقعا، وانصعا بياضا؛ لأن للحق وقعا لا يقهر، وللمظلوم صوتا لا يُقمع، وهو ما حاولت السيدة زينب بنت علي بن ابي طالب (عليهم السلام) بيانه في وثيقتها التاريخية التي تعالى صوتها في اشهاره للغافلين في مجلس يزيد بن معاوية، التي أخذت تنتقل في ارومة الايام معلنة عن الصراع الدامي الذي تعرضت له الأسرة العلوية، ومن ناصرها في ذلك الزمن البعيد حتى وجدت في كلماتها مشعلا عالميا حمل معه كل تلك المعاناة التي ابكت العالم أجمع لما أُلحق بآل النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم). من قهر، وظلم وتنكيل وتقتيّل.

هذا ولا بدَّ من الإشارة: إن البحث في مساراته لا يدرس الخطاب الزينبي دراسة تاريخية، ولا يبحث عن سند الخطبة، ولا مصادر روايتها، بل يتناول الأنساق الثقافية فيها من خلال تشريح النص، وبيان المنطلقات الموروثة في ذلك الخطاب، والتي ساعدت في تنقله من عصر إلى آخر، حتى وصل الى مرحلة العالمية متخذا من وسائل انتشار الخطاب وتلقيه بالسهولة التي وصل إليها من خلال التقدم التكنولوجي في وسائل التواصل، وتسارع خطى المتلقي في تلقيه للمطروح الثقافي، والحكم على ذلك المطروح ومدى تقبله له أو رفضه، وهو ما سيعمل البحث في بيانه من خلال دراسته لجملة من العناصر الثقافية التي تعمل على جعل الخطاب الزينبي ينتقل من المجلس الخاص إلى العالمية، ويكون له صدى كبير يسهم في بيان الحقيقة التي عملت الدولة الأموية ومن جاء بعدها من دول منتهجة نهجها على طمس الحقيقة الدامية متخذين جملة من الأساليب التي عملت وما زالت تعمل على تسفيه القضية، أو حصرها بمعركة تدور رحاها من أجل السلطة، والسيطرة على مقاليد الحكم، أو إظهارها على أنها محاولة تمرد شخصية الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام) بما له من ثقل ديني و اجتماعي ضد حاكم المسلمين يزيد بن معاوية الذي تحاول أغلب الحكايات المنقولة عن السلطة الاموية والأقلام النازلة في ركابها إظهارها على هذا النهج وتلك الطريقة.

ولا يمكن أن تقوم دراسة من دون الإفادة، أو الاعتماد على جملة من المصادر تكون بمثابة قطب الرحى لها، ومن هذه المصادر التي كانت العمود الفقري للبحث كتاب(بلاغات النساء، وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن، وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام) للإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المولود ببغداد سنة(٢٠٤هـ ، والمتوفى سنة(٢٨٠هـ))، وكتاب (السيدة زينب عقيلة بني هاشم(رضي الله عنها))، للدكتوره عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، وكتاب (عقيلة بني هاشم)، لمؤلفه علي بن الحسين الهاشمي، وكتاب (مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو)، للكاتب الزواوي بغورة.

ودراستنا تقوم على تمهيد ومباحث ثلاثة وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

جاء في تمهيدها(نبذة تعريفية عن موضوع الأنساق الثقافية، ثم إشارة للخطاب وتعريفاته، ووجد البحث ضرورة أن يُعرج على التعريف بحياة السيدة زينب(عليها السلام))، فيما جاءت المباحث الثلاثة في خطاب السيدة زينب(عليها السلام) في مجلس يزيد معنونة بـ (نسق المكان، ونسق الزمان، ونسق العلاقات الإنسانية)، ثم الخاتمة التي عرّفت بنتائج الدراسة وما وصلنا إليه فيها، وقائمة بمصادر الدراسة ومراجعها.

التمهيد

الأنساق الثقافية

يجد البحث من الأهمية وضع تعريفات النسق والإشارة لها، في ضوء علاقته بموضوعات تحليل النصوص والبحث عن المضمرات النسقية فيها، إذ يُعد النسق الثقافي مجموعة من أجزاء تكون متماسكة ارتباطا، ومتكاملة حركيا، ومتناغمة ايقاعيا، فهو يتنفس ويحيى وظيفياً ووجوديا من خلال تكامل وظائف أجزائه المترابطة وقد

عرفه(تالكوت بارسونز) بأنه "**نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتّبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في اطار هذا النسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي**"[١].

ويُشير (عبد الله الغذامي) للنسق في مفهومه الاصطلاحي من خلال إظهار فعل النسق في الخطاب مهما يكن مصدره وهويته، بقوله: "**يجري استخدام النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى البنية(structure)، أو معنى النظام(system)، حسب مصطلح(دي سوسير)**"[٢].

ويُعدّ (لفي شتراوس) من أوائل الذين نقلوا مصطلح (النسق) إلى الحقل الثقافي في دراسته (الأنثربولوجيا البنيوية ١٩٥٧)مؤكدا على " **وجود كلي أو شامل وعالمي سابق على الأنساق أو الأنظمة الفردية للنصوص**"[٣]، بينما اقترح(إيكو) "**مصطلح الوحدة الثقافية، وهي أي شيء يمكن أن يُعرف ثقافيا ويميز بوصفه وحدة مستقلة، قد يكون شخصا، مكانا، شعورا، حالة، توجسا بالشر، هلوسة فكرة**"[٤]، و(إيكو) هنا نظر للوحدة الثقافية بوصفها وحدة دلالية سيميائية مدمجة في نظام وقد تتجاوز هذه الوحدة النظام وتتفاعل بين ثقافتين[٥].

بينما يُشير (فوكو) إلى النسق معرفا إياه على أنه "**علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها ويرى أنه يمثل فكرا قاهرا قسريا مغفل الهوية، وهو أيضا نظرية كبرى تهيمن في كل عصر على الكيفية التي يحيا بها البشر**"[٦]

وتجد الدراسات التي تناولت مفهوم (النسق) أنه "**متضمنا أبعاد النص كافة ومكونا لأسس تلقيه وتأويله وسبل التفاعل معه، فالنسق الثقافي من الركائز التي تميز مشروع النقد الثقافي عند (ليتش)، إذ يشتغل النقد على أنظمة الخطاب الظاهرة والمضمرة للكشف عن الأنساق الثقافية**"[٧]؛

---

(١) عصر البنيوية: ص٤١١.

(٢) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية– الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥م:٧٦ .

(٣) تحولات السرد العربي القديم، دراسة في الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، د.ضياء عبد الله خميس الكعبي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية/ كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٤م: ص٢١ .

(٤) المصدر نفسه: ص٢١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص٢١ .

(٦) دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، عبد الله حبيب التميمي، وسحر كاظم حمزة الشجيري، مجلة بابل، العلوم الإنسانية، مجلد ٢٢، ع ٢، ٢٠١٤م: ص٣١٥ .

(٧) السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل: ص٢٢ .

لأن بنيات النص ثقافيا واجتماعيا ترتبط بسياقاته التي كُتب فيها لتستمر في أزمنة أخرى، فتنتج أبعادها من داخل الأنساق المضمرة والمضمنة في النص.

ومن خلال الإشارات التي أظهرها البحث للنسق الثقافي فإن قراءة الأنساق تتجه إلى تحليل ودراسة العلاقة بين النص(أي نوع من أنواع النصوص)، والواقع الذي ينتمي إليه ويمثله بالاتجاه إلى تحليل الثقافة وتتبع مضمرات الثقافات وحفرياتها.

الخطاب: في اللغة والاصطلاح

أصبح مصطلح الخطاب في –الآونة الأخيرة – مصطلحاً شائعاً، إلا أنه تشعب، وصارت له دروب عديدة ومفاهيم مختلفة ولامتناهية؛ حتى بات العثور عليه وتحديده أمراً صعباً.

بادئ ذي بدء يتحدد المعنى اللغوي للخطاب في عدة اتجاهات؛ فهو يعني الإجابة عن شيء ما والنطق به، أو مراجعة الكلام، وقد قيل في قوله تعالى: "**وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**"[١]، فهو الحكم بالبينة أو اليمين، والتمييز بين الحكم وضده، أو الفصل بين الحق والباطل[٢].

من باب آخر، فأن أغلب المرادفات الأجنبية الشائعة لهذا المصطلح مأخوذة " من أصل لاتيني، وهو الاسم(Discursus) المشتق من الفعل (Discurrere) الذي يعني(الجري هنا وهناك) أو (الجري ذهاباً وإياباً)، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة، والارتجال"[٣]. فالخطاب في مفهومه اللغوي ٠في العربية أو الأجنبية– يقوم على التلفظ أو القول بين طرفين: أحدهما مُخاطِب، والثاني مُخاطَب، وقد يتحاوران في شكل حديث حر؛ فيقال حينئذٍ: إنهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البنية وفصل الخطاب[٤].

هذا ويُفضي الاستعمال الاصطلاحي إلى معانٍ ودلالاتٍ أكثر تحديداً، إذ يتحول الخطاب إلى رسالة أو نص يكتبه كاتب إلى شخص آخر، وقد يُكتب الخطاب شعراً، ولكن الأشهر أن يكون نثراً، كما يعني " **العرض،**

---

(١) سورة ص/ ٢٠ .

(٢) ينظر: لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، تح:أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصاوي العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، جـ٤، ص١٣٥، و القاموس المحيط، الفيروز آبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧ هـ)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، جـ١، ص٦٣ .

(٣) آفاق العصر، جابر عصفور، مهرجان القراءة للجميع، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٧م: ص٦٤ .

(٤) ينظر: الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة اسلوبية، د.عبد الرحمن حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م: ص١٩ .

والسرد، والخطبة الطويلة نسبياً غير الخاضعة إلى خطة جامدة، حيث هي أفعال أدائية لفاعلين، أو ممارسة اجتماعية لذوات تمارس الفعل الاجتماعي وتنفعل به بواسطة اللغة"[١] .

وبذلك، فإن المفهوم الاصطلاحي للخطاب يعني " **الميدان العام لمجموع المنطوقات، أو مجموعة متميزة من المنطوقات، أو هو ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات تُشير إليها**"[٢]، مثلما هو عبارة عن " مجموعة من المنطوقات أو الملفوظات التي تُكون بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية المحكومة بقواعد التكوين والتحويل"[٣]

فالخطاب بوصفه مصطلحا يعتمد –إذن– على اللغة والمنطوق معاً؛ حيث يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر، إلا أن هذه العلاقة ليست متساوية تماماً، فالمنطوق ليس شرطاً لوجود اللغة، ما دام يمكن استبداله بغيره، ولكن اللغة – في جميع الأحوال– تتكون من منظومة، أو نسق من المنطوقات الممكنة، تماماً كما يُعرفها (دي سوسير) بوصفها "**نظاماً من العلاقات**"[٤]؛ إذ إن الخطاب – في أحد معانيه– "**هو اللغة باعتبارها حواراً بين الكاتب والقارئ أو بين أفكار الكاتب وأفكار القارئ، أو بين ما يُمثله الكاتب(اجتماعياً، أو سياسياً أو ثقافياً) وما يمثله القارئ** "[٥].

وعليه يمكن القول: إن مصطلح (الخطاب) يُشير إلى الطريقة التي تُشكّل بها الجُملُ نظاماً متتابعا تُسهم في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص،٠٠٠، وقد يوصف الخطاب بأنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلامات، أو يوصف بأنه نسق من العلاقات المتعينة التي تُستخدم لتحقيق أغراض متعينة[٦].

زينب بنت علي بن أبي طالب(عليهم السلام)

- **حياتها (ولادتها ووفاتها)**

يجد البحث في تمهيده الذي اختاره أن يذكر نبذة تعريفية عن حياة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، لتكون بمثابة المدخل لما يأتي في طيات البحث، إذ تذكر بعض المصادر أن السيدة زينب (عليها السلام) ولدت " **في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة من الهجرة** "[٧]، في حين

(١) آفاق العصر: ص٦٤ .

(٢) نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ميشيل فوكو، تر:أحمد السلطاني وعبد السلام عبد العال، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م: ص٩٤ .

(٣) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م : ص٩٤ .

(٤) دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٥م: ص٤١.

(٥) من قضايا الأدب الحديث، محمد عناني، الهيأة المصرية العامة للكناب، القاهرة، ١٩٩٥م: ص٣٦ .

(٦) ينظر:عصر البنيوية، إديث كريزويل، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣م: ص٢٧٩ .

(٧) عقيلة بني هاشم، علي بن الحسين الهاشمي، مطبعة الآداب في النجف الاشرف، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م: ص ٤ .

تذكر بنت الشاطئ في كتابها الموسوم(السيدة زينب) " **تعالى هتاف (المدينة) في العام السادس من الهجرة، للوليدة الغالية(زينب بنت علي) تلك التي تلاقى فيها أعز ما عرفت قريش والعرب من كريم الأصول ونقي السلالات**"[١]، فيما يجمع مؤلف كتاب(زينب بنت علي)، بين الأمرين قائلا: "**المشهور أنها ولدت في الخامس من جمادى الأولى في العام الخامس من الهجرة في المدينة المنورة. وقيل أنها ولدت في السنة السادسة**"[٢].

وما أن وضعت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مولودتها حتى "**أذيعت البشرى أنها قد وضعت أنثى باركها النبي واختار لها اسم(زينب) إحياءً لذكرى ابنته الراحلة(زينب) التي كانت قد توفيت قبل ولادة الطفلة بقليل، فوجد الرسول عليها، وحزن لفقدها حزناً ثقيلاً**"[٣].

أما وفاتها فالمصادر تذكر أنها توفيت في " **الخامس عشر من رجب سنة ٦٢ هـ**"[٤].

- **شخصيتها**

يرى علماء النفس أن هناك ثلاثة أبعاد ذات أثر مباشر في أصل تكوين شخصية الإنسان مثل(الوراثة، والتربية، والبيئة)، وهي مؤثرة في تكوين الشخصية وبناءها، لكن مثل شخصية زينب (عليها السلام) تخطت هذه المراحل بعد أن اصطفاها الله لمهمة كربلاء ورسالة الفداء والتضحية، ففي شخصية السيدة زينب(عليها السلام)، اكتملت هذه الإبعاد الثلاثة، "**إذ قضت السيدة الحوراء(عليها السلام) مع أمها السيدة الزهراء(عليها السلام) خمس أو ست سنوات تقريبا، كما أن الزهراء(عليها السلام) لما بلغت السابعة من عمرها أو قاربت الثامنة فقدت حنان أمها السيدة خديجة(عليها السلام) وهي فترة مقاربة لفترة السيدة الحوراء(عليها السلام) والمهم أن السيدة زينب(عليها السلام) عاشت تلك الفترة مغمورة بعواطف أمها الهانية العطوفة وقد حلت في أوسع مكان من قلب أم كانت من أكثر أمهات العالم حناناً ورأفة وشفقةً بأطفالها**"[٥].

هذا ولا يتغافل المتلقي عما حظيت به السيدة زينب(عليها السلام) من الرعاية المباركة من جدها النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وما تلقته من حنان أمها الزهراء(عليها السلام)، فرضعت من ثدي العصمة الطاهرة

(١) السيدة زينب عقيلة بني هاشم(رضي الله عنها)، دكتوره عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ–١٩٨٥م:٢٣ .

(٢) زينب بنت علي(عليهما السلام) فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسين بغدادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، يروت– لبنان، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م: ص١٥ .

(٣) السيدة زينب عقيلة بني هاشم(رضي الله عنها): ص١٩ .

(٤) السيدة زينب عقيلة بني هاشم(رضي الله عنها): ص١٥٥، وينظر: زينب بنت علي(عليهما السلام) فيض النبوة وعطاء الإمامة: ص١٥.

(٥) زينب بنت علي(عليهما السلام) فيض النبوة وعطاء الإمامة: ص٢١.

والوحي، وبعد وفاة جدها وأمها نمت وترعرعت ونشأت في مدرسة أبيها إمام المتقين واكتسبت منه أعلى مقامات العلوم الإسلامية والإنسانية والمعنوية[١].

وتذكر الدكتورة عائشة بنت الشاطئ عن شخصية السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) "**أما شخصيتها، فيبدو اننا سوف ننتظر –هنا أيضاً– ريثما تكشف الأحداث عن جنانها وثبات فؤادها، وتبديها لنا في أروع صورة من الشجاعة والإباء والترفع، وسيبدي المؤرخون إعجابهم بموقفها من(يزيد بن معاوية)،٠٠٠، ما بدا من قوة برهانها وقوة حجتها**"[٢].

أذن هذه هي زينب بنت علي(عليهما السلام) كما تذكرها المصادر في كربلاء، وكما تظهر بها شخصيتها العظيمة في موقفها، وبيان حجتها على من خاصمها، وأهل بيتها(عليهم السلام)، وكما لاحت لنا منها ملامح فهي التي ترعرعت في كنف جدها النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، واستقت من عطف أمها الزهراء(عليها السلام) وكانت تشبها عطفاً ورقة، وتشبه أباها علماً وتقوى، وهكذا اجتمع لها ما لم يجتمع لسواها من نساء جيلها، فكانت (عقيلة بني هاشم) "**يروي عنها أبن عباس فيقول(حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي)**"[٣]، فكان يقال (العقيلة) فيعرف أنها زينب (عليها السلام).

الأنساق الثقافية في خطاب السيدة زينب(عليها السلام)

تتضمن النصوص أو تختزن مجموعة من الأنساق لا يمكن حصرها في خطابات أو فضاءات محدودة؛ ذلك لأنها تتميز بخاصيتها الشمولية، ولذلك سنقتصر في هذه الدراسة التي تتناول خطاب السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب(عليهم السلام) على نسق(المكان، والزمان، والعلاقات الإنسانية) بقصد بيان مدى تحول الأنساق المضمرة في العمق التأريخي للخطاب من خلال عولمتها بعد مدة من الزمن، بوساطة ما فيها من المكونات التركيبية(اللفظية أو المعنوية)، والتي أسهمت في تلك العولمة الخطابية وبسط هيمنتها على المتلقي الكوني أو المستقبلي الذي افترضته المُخاطِبة في خِطابِها.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص٢٢ .

(٢) السيدة زينب عقيلة بني هاشم(رضي الله عنها): ص٥٢ .

(٣) المصدر نفسه: ص٥٣ .

المبحث الأول:(نسق المكان)

يكتسب المكان مكانة كبيرة؛ لأنه عنصر من العناصر الفنية الهامة؛ ولان الشخصيات تتحرك فيه وتتفاعل معه، وهو مهم في تكوين الحياة البشرية، بوصفه الجزء الأكثر تثبيتاً لكيان الإنسان وهويته، وتحديد تصرفاته كونه الأكثر ارتباطا بذاتيته، وأن أي نص أدبي مهما كان جنسه أو نوعه لا بدَّ أن يكون المكان عنصر من عناصره الاساسية الذي ينطلق منه فعل الحكي.

فالإنسان "مكان للوعي، يختزل عبر الوعي الأمكنة كلها، ابتداءً من الأمكنة الكبرى المألوفة، وانتهاءً بالمكان المطلق الكون"[١]. ولذلك لا يمكن أن يُجرد الإنسان عن مكانيته مهما كانت طبيعتها، إذ لا قيمة للمكان دون ذات شاغلة له كتلازم حتمي، ومتفاعلة معه، فالمكان يُنظر إليه بوصفه نظاماً انسانياً متكاملاً، يرتب فيه الإنسان جميع مجالاته الاجتماعية، والاقتصادية، والمعرفية، ولذلك "**تنطوي علاقتنا بالمكان على جوانب شتى ومعقدة، تجعل من معايشتنا له عملية تتجاوز قدراتنا الواعية لتتوغل في لا شعورنا فهناك أماكن جاذبة تساعدنا على الاستقرار، وأماكن طاردة تلفظنا، فالإنسان لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية، جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته**"[٢]، ويكون له ملاذا ينقل منه ما يتعرض له من مخاوف أو ما يشاهد فيه من صراع بين المختلفين وعليه تسيل دماء المتنازعين، ثم يكون بمثابة مركز ثقافي تُحفظ في ذاكرته الاحداث الجسام، والتي من خلاله يتصفح المتلقي مجرى تلك الأحداث، وعن طريقه تنتقل تلك الأحداث وتتمركز في مشاهد ذلك المتلقي حتى تصل من خلاله إلى أبعد نقطة في مسارات المستقبل، ولذلك نجد في كلمات السيدة زينب (عليها السلام) هذا الأدراك لفعل المكان وأهميته، إذ جعلت من مجلس يزيد، ومن حضر فيه من شخصيات إسلامية أو غير إسلامية منطلقا لنقل مأساة ما تعرضت له عائلة النبي الأكرم(صلى الله عليه واله وسلم) ومن معها من مناصريه مستعينة بالذاكرة المكانية التي ستعمل في قادم الأيام على نقل تلك الأحداث وربطها بالعالم من خلال الابتعاد بالرؤيا من عالمها الواقعي الحاضر، إلى عالم سابق لأوانه في المستقبل، فالنظرة الاستباقية للمستقبل التي عكسها كلام السيدة زينب(عليها السلام) حين خاطبت يزيد في أول كلامها بعد تفاخره بابيات شعر ضجه بها المجلس قائلة له: "**اظننت يا يزيد أنه حين اخذ علينا بأطراف الأرض واكناف السماء**"[٣]، **فالافتراش المكاني الواسع الذي اتخذته السيدة زينب(عليها السلام) هو الاتضاح الحقيقي للعالمية التي وصلت إليها القضية الحسينية بعد أن أُفتضح أمر يزيد ومن معه ممن**

---

(١) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح، دار شرقيات القاهرة، ط١، ١٩٩٧: ص١٢ .

(٢) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تر:سيزا قاسم، نقلاً عن كتاب جماليات المكان، جماعة من الباحثين، دار قرطبة-بيروت، ط٢، ١٩٨٨: ص٦٣

(٣) بلاغات النساء: وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن، وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام) ، للإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المولود ببغداد سنة(٢٠٤هـ ، والمتوفى سنة(٢٨٠هـ)، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م : ص٢٦ .

دبروا للعالم الإسلامي مكيدة قتل الحسين(عليه السلام)، ومن معه باتخاذهم ذريعة خروجه عن الدين، فالنسق المسيطر في المكان هو الذي زود الذاكرة الإنسانية بهذا البقاء الأزلي.

إذ ثمة ترسيمات معرفية(أنظمة وأنساق) تبقى فاعلة لأزمان طويلة جدا، والذي يساعد على استمرارها وديمومتها هو الممارسات التاريخية والإنسانية، خاصة إذا ما تعهدها الخطاب باستمراريته وتجديد المطالبة بتحقيق غاياته التي وضعها نصب عينه، ففي صرخات الخطاب الزينبي الموجه للإنسانية منذ الخلق حتى نهاية البشرية نوعا من المضمر النسقي الذي يتخذ من المكان قديما كان أو حديثا معبر عن وعيه بأهمية الاستمرار بذلك الكلام وترديده مثل الصدى الناتج عن الصوت العالي "**أتقول ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك**"[١]، فالرجوع إلى واقعة بدر الكبرى التي تشفى يزيد منها، بقتله للحسين (سلام الله عليه)، كانت بمثابة النسق المكاني المهيمن على ذاكرته، إلا أن تعالي صرخات زينب (عليها السلام) في مكان أخر يبعد بالزمن عن المكان الأول هو ذاته النسق الذي أحدث شرخ بين الوقوف بين كربلاء وما دار فيها شامتا وبين الوقوف ببدر حزينا على قتلى أحدث نوعا من المبارزة المكانية ليكون المكان هو الوسط الناقل للنسق المهيمن على ذاكرة كل من يزيد(لعنه الله) و زينب(عليها السلام) ومحاولة الأثنين نقل أحقية خطابهم سواء كان الشماتة بما حل بالحسين وأهل بيته، أو النيل من يزيد وعظيم أثم ما أتخذ بقتله لحفيد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ثأرا لما دار في موقعة بدر وكيف تشبع المكان منها، ليسهم في النهاية في تدويل القضية وانتقالها من الحدث المكاني الخاص(آبار بدر، وكربلاء) إلى العالمية قضية هزت عروش الزمن فانتقلت في ثنايا سنواته الطويلة حتى أضحت مبكى العالم البشري كله لهول ما حدث فيها.

ولا تقف الرؤيا المكانية التي انطلقت منها زينب بنت علي(عليهما السلام) عند الحدود الحقيقة الواقعية، بل أخذت في مسارات المكان القاصي، أو ما يمكن أن نُطلق عليه المكان الميتافيزيقي(الجنة والنار) لتجد فيها محلا عالميا لقضيتها، إذ تستعير في جلبها لهذا المكان عالمية الحضور الذي لا يقف عند الخاص منهم، بل تتجاوزه إلى العام ففي هذا المكان وما يدور فيه من أحدث الجريمة، وإنما يكون الحضور عالميا، وهو هدف استعمال الخطاب وتزويده بهذه المساحة المكانية في ندائها الذي تقول فيه: "**ولتردن على الله وشيكا**"، فالمجيء الذي أرادت أن تثبته هو المحل الذي يكون فصلا بين حقيقتين الأولى: مزيفة(ادعاء خروج الحسين عن الدين المحمدي)، والثانية : حقيقية(تمسك الحسين بذلك الدين وعدم الخروج منه)، وهذا التصوير المكاني أعقبه تنامي آخر للمكان أوضح مغزى ذلك الورود على الله من خلال الجمع بينه وبين صاحب ذلك الدين "وسترد على رسول الله صلى الله عليه برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس" فاختيار المكان(حظيرة القدس) والاجتماع بالرسول فيه هو محاولة واقعية لأثبات الأفضلية في نهاية الأمكنة التي تناولها الخطاب، فالا ريب أن (حظيرة القدس) هي الحظوة التي يصل إليها الصالحين، وجهنم هي المستقر الذي يرزح فيه الفجار المتغطرسين " **فئس**

(١)**المصدر نفسه:٢٦ .**

للظالمين بدلا ايكم شر مكانا"[١]، فالتمايز المكاني الذي قصدته السيدة زينب(عليها السلام) أعطى للصورة زخما آخر أسهم في نقل المتلقي ومخيلته من المجلس الآني(مجلس يزيد(لعنه الله) إلى محطة مكانية بعيدة كل البعد عن المكان الأول إلا وهو الجنة مستقرا للحسين (علسه السلام) والنار ليزيد(لعنه الله)) وهو نوع من الانتقال العابر للحظة الوقتية والعبور إلى زمن بعيد عن تلك اللحظة، والتي من خلاله هذا التفضيل أوصلت المتكلمة(زينب) بكلامها قضيتها إلى العالم كله من خلال نسق المكان(أرضيا كان أو سماويا) وهو الذي أسهم في نقل الخطاب من الماضي البعيد إلى المستقبل القريب.

المبحث الثاني: (نسق الزمان)

يُعد الزمن سؤال الذهن البشريَّ، منذُ بدأ الإنسان سعيه على هذه الأرض، فالإنسان لا يمكنه ذهنياً غضّ الطرف عن الزمن، على الرغم من أنه من القضايا المتعذر حلها، إلا إن السؤال سيظل حوله قائماً، حيثُ سيظل له سطوته الدائمة، وسيبقى الإنسان عاجزاً أمامه، غير قادر عليه، أو على تسييره، أو توقيفه، أو حتى فهم كنهه، وسبر أغواره، فلم يعرف له بداية، ولن يعرف متى ستكون النهاية، إذ يشكل الزمن فكرة ثقافية، انغرست في تفكير الشعوب، وأصبحت ظاهرة ثقافية مهيمنة في مخيلتهم، وأخذوا يفكرون فيها.

وكان الزمن وما زال مبحثاً أساسياً عند الفلاسفة، ومحوراً للجدل المستمر عندهم، وهو إحدى قضايا الوجود الإنساني منذ بدء الخليقة، أو منذ اللحظة التي أدرك الناس وجودهم والوعي بذواتهم، وما زال السؤال والعديد من القضايا تلح دون الوصول إلى حل، أو الانتهاء إلى إجابة " **فالزمن لغز الحياة، وهو مصدر قلق، بل مرض الشعراء والفلاسفة والمفكرين**"[٢]،

علاقة الإنسان بالزمن علاقة جوهرية، نشأت منذ لحظة وعي الإنسان بوجوده، فهو يبحث عنه ليس لإشباع وتحقيق رغبات يومه واهدافه، ولكن يحث السعي لتأمين وتحقيق أهداف إضافية ليطمئن على المستقبل، فيتخلص من القلق، وذلك من طريق تحقيق هذه الأهداف، وإشباع الرغبات، فالقلق هو الذي يُشعرنا بالزمن، إذ كلما حاول الإنسان السيطرة على الزمن، وإخضاعه لإرادته، أفضى الزمن إلى مزيد من الشقاء الإنساني، ولا يتوقف عن حركته المراوغة، فهو "**خيط وهمي مُسيطر على كافة الأفكار، فالزمن مجرد، لا محسوس، خفيٌّ، ومن المستحيل، ومن غير المجدي- أيضاً- تحديد مفهومه**"[٣]، إذ يتسم بالضبابية والتعتيم، لذا نجده محور

---

(١) **بلاغات النساء:٢٧ .**

(٢) السرد السينمائي، فاضل الأسود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦: ص٩٣ .

(٣) في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة –الكويت، العدد٢٤.، ١٩٩٨: ص١٧١ .

جدل الفلاسفة والأدباء والمفكرين شأنه في ذلك شأن القضايا التي يصعب الوقوف على مفهوم جامع مانع لها، فهو "**من الأشياء التي يستحيل تعريفها، فإن لم يكن ذلك مستحيلاً نظرياً فإنه غير مجد علمياً**"[١].

ويتخذ الخطاب من مفارقة الزمن ووجوده الخفي عاملا مفصليا يسعى من خلاله إلى إيصال ما يهدف إليه، فالخطيب الذي يستعمل مفاصل الزمن من أجل ديمومة خطابة، ومحاولة تخليده، يتفاعل في خطابه مع المتلقي العابر للآنية، بمعنى المتلقي الكوني، أو المتلقي المستقبلي، الذي ينحت الخطيب من كلمات رموزا تستقر في ذاكرته وهو ينتقل عبر الزمن، ونجد هذا الصراع الزمني المحمل بنسقية كونية في كلمات السيدة زينب(عليها السلام) مخاطبة يزيد(لعنه الله) "**الحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنة فأوجب لهم الجنة**"[٢]، فالسبق الزمني أو ما يمكن أن نُطلق عليه (السبق التنبؤي)، يُعد نوعا من الأدراك المعرفي والعبور من اقنية الزمن ورؤية المستقبل(الذي ختم بالسعادة والمغفرة/ فأوجب الجنة)، فهي عبارات تحمل النظرة المستقبلية لما يأتي بعد الواقعة، وكيف تكون عاقبة الذين قضوا في سبيل الله، مضحين بكل غالي ونفيس، وعليه تكون الانتقاله العالمية للخطاب من الزمن الآني(لحظة إلقاء السيدة زينب(عليها السلام) خطابها في مجلس الشام حتى اللحظة التي وصل فيها الخطاب الى عالميته في المستقبل وكيفية تلقيه من قبل المتلقي المستقبلي).

ولا يقف الزمن عند المتلقي وكيفية تلقيه الخطاب، بل يدخل في دوامة الصراع و الانتقال الزمني من لحظة القول إلى الافق الزمني السابق لأوانه، من خلال تحكم الخطيب بالزمن وانقياد المفردات في خطابه إذ يعمل على تبنيه وطرحه للعالم من أجل فضح الجاني(يزيد (لعنه الله)) بعد فعلته الاثمة من خلال هتكه لستر حرائر النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وكيف تلطخت يداه بدماء شباب اهل الجنة وعترة النبي الطاهرة " **فلئن اتخذتنا مغنما لتتخذن مغرما حين لا تجد الا ما قدمت يداك**"[٣]، فالنص على قدر تمام كلماته حُمَّل بالمعاني المستقبلية التي شاء الخطيب بيانها من خلال الوعد والوعيد بالنصر المستقبلي والغلبة بعد الانكسار الآني، فالخطيب استثمر السبق الزمن من خلال تبنيه للمضمون الذي يسوقه النص القرآني الذي يورده بالخطاب "**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون**"[٤]، فالغلبة والنصر الذي سيخلد القضية التي بذل الشهداء أنفسهم لها هو السبق المستقبلي ، وهو الصراع مع عولمة ذلك الخطاب ووضعه في صدارة الطريق الذي يتطلع المتلقي لإيجاده والسير في هداه.

المبحث الثالث: (نسق العلاقات الإنسانية)

---

(١) ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، ١٩٩٥ : ص١٥٧ .

(٢) **بلاغات النساء: ٢٧ .**

(٣) **بلاغات النساء: ٢٧ .**

(٤)**ال عمران/١٦٩ .**

يمكن القول: إن الأنا والأخر مولودان معا، حيث الصورة التي نتخيلها، عن أنفسنا، لا تتم بمعزل عن صورة الأخر نحونا، وبالمقابل فأن صورة الأخر لدينا، هي بمعنى من المعاني صورة عن ذواتنا، لكن يبقى مصطلح كل من(الأنا) و(الأخر) من المصطلحات التي تحتاج إلى شرح أوسع، وإلى اتفاق واضح حول المفهوم، إذ يتشظى معنى المصطلحين وتتسع دائرة معناهما وما يزيد الأمر عجائبيا، أن صورة الأخر، تختلف من شخص إلى أخر، بل وما يزيد الأمر تعقيدا هو اختلاف الأخر باختلاف مواقف الأنا منه، مما يشير إلى أن " **صورة الأخر على هذا الأساس، ما هي إلا مجموعة من المركبات التي تُربط تلقائيا بالسمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين من شخص إلى آخر**"[١]، حيث أن الغير هو في الوقت نفسه المماثل والمباين بسماته الإنسانية والثقافية في ذاته معا، بحيث تسمح لنا خاصية الذات من إدراكه في تشابهه وتباينه وعلاقة الأنا بالأخر هي علاقة متعددة ومختلفة تتجاوز في حد ذاتها العلاقات المعرفية، وهذا من خلال ذلك التعدد الذي يصدر عن تعدد أوجه الآخر[٢].

ومن هنا تتشكل جدلية لعلاقة الأنا بالأخر في المجال الاجتماعي، وهو ما نحن بصدد التنقيب عنه من موقف يتعلق بنسق العلاقات الإنسانية التي تتعلق بنظرة الأنا بالأخر من خلال موقف السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) في خطابها في مجلس الأخر يزيد(لعنه الله)، إذ تتشكل لنا من خلال هذا الخطاب موقفين متضادين هما:

موقف الأنا الطاغية من الأخر المظلوم:(موقف يزيد من الحسين)

المتتبع لواقعة كربلاء وما رافقها من سبي عائلة النبي(صلى الله عليه واله وسلم) بعد قتل الحسين(عليه السلام) والأحداث الأليمة التي شهدها هذا الموقف الدموي الذي ضجت به السموات والأرض، وبقيت آثاره عالقة في الذاكرة الإنسانية على مدى العصور المتوالية؛ لأن الموقف الذي اتخذته السلطة الحاكمة آنذاك كان بمثابة الأنتقام من سبط النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، أو تحقيقا لثأر قديم تشفى به يزيد(لعنه الله) من خلال تمثيله بالحسين(عليه السلام) وأهل بيته وصحابته(رضوان الله عليهم أجمعين)، وهو ما نجده في الأبيات الشعرية المنسوبة إلى عبد الله بن الزبعرى والتي ترنح بها يزيد(لعنه الله) بعد أن وُضع رأس الحسين(عليه السلام) في طست أمامه قائلاً:[٣]

يا غراب البين اسمعت فقل إنما تذكر شيئاً قد فعل

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقل الأسل

---

(١) دينامية التعارف بين الأنا والأخر في القصيدة الشوقية، عبد الرحمن بغداد، مجلة الرافد.

(٢) المصدر نفسه

(٣) بلاغات النساء: ٢٥، وينظر: عقيلة بني هاشم، علي بن الحسين الهاشمي الخطيب: ١٩-٢٠ .

حين حكت بقباء بركها وستحر القتل في عبد الاشل

لأهلوا وستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

فجزيناهم ببدر مثلها واقمنا ميل بدر فاعتدل

لست للشيخين ان لم اثئر من بني أحمد ما كان فعل

فالألفاظ الواردة في الأبيات مثل(اشياخي ببد شهدوا/ وستحر القتل في عبد الاشل/ لأهلوا وستهلوا/ يا يزيد لا تشل/ فجزيناهم ببدر مثلها/ اقمنا ميل بدر فاعتدل/ أن لم اثئر/ من بني أحمد) تشير صراحة إلى ما ذهبنا إليه من موقف عدواني ليزيد(لعنه الله) تجاه الحسين(عليه السلام) وأهل بيته، وما معركته حقيقةً إلا عملية تصفية لثأر قديم مكنون في ذاكرته، ومحاولته من خلال (كربلاء) تخليص ذلك الثأر، فامتداد الصراع بين(أنا) يزيد الطاغية(لعنه الله) ومحاولة تمجيد ذاته(يا يزيد لا تشل) هي نوع من أنواع تفريغ الصراعات تجاه (الأخر) الحسين(عليه السلام) وما كان من جده النبي(صلى الله عليه واله وسلم) في معركة بدر الكبرى التي تغنى بها يزيد ورأى في كربلاء معادل موضوعي لما مرَّ(فجزيناهم ببدر مثلها/ اقمنا ميل بدر فاعتدل). وهذا الرجوع الزمني الذي تعاملت به(الأنا) مع (الأخر) هو نوع من النسق الذي يحكم العلاقات الإنسانية المتضادة والمتصارعة على مر التاريخ بين الخير والشرّ الكامن في الذاكرة البشرية.

ولهذا أشرنا في كون الخطاب الذي ألقته السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) أمتاز بعالميته، إذ لم يكتفِ بالبقاء قيد الزمن الذي قيل فيه، بل تنوع وجوده بين الماضي البعيد(زمن معركة بدر)، والمستقبل القادم(الأجيال الذين يرثون الطاغية وأفكاره العدوانية تجاه النبي صلى الله عليه واله وسلم وأهل بيته، وبين الذي يستمرون على نهج الحسين الوارث لدين جده صلى الله عليه واله وسلم).

موقف الأخر المظلوم من الأنا الطاغية

شهد العالم على مر التاريخ آلاف المعارك والحروب، والتي تنتهي دائماً بانتصار طرف وهزيمة الآخر، ومن الطبيعي أن يفرض الطرف المنتصر شروطه على الطرف الآخر، وبالإضافة إلى القتل الذي ناله أثناء المعركة، فأن مصير الناجين من المذبحة، الأسْر والتنكيل والسجن والتعذيب، وفي كل أحوال المعارك التي تنتهي بالقتل للمنازعين المنهزمين، فأن لا حقوق لهم ولا يُسمح لهم بالمطالبة بتلك الحقوق حتى وأن كان هو صاحب الحق وهو المُعتدى عليه من الجيش المنتصر.

إلا أن واقعة كربلاء سجلت موقفا مغايراً رغم الهزيمة العسكرية التي مُنِيَ بها جيش الإمام الحسين(عليه السلام)، فالرغم من قتل الإمام الحسين وأصحابه وأَسر مسائه وأطفاله، إلا أن كل ذلك لم يترك لجيش الشام المنتصر التمتع بالنصر العسكري، وتنفيذ أجندته الخبيثة على الأسرى والسبايا حيث انبرت من بين السبايا امرأة

عظيمة تقدمت بحجابها وبلاغتها لتقف أما أعتى الظالمين في ذلك العصر، وتصرخ في وجهه وتمنعه من تحقيق أهدافه الخبيثة،

وهذا الموقف الشجاع من السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) يدفع بنا إلى بيان الصراع الحادث بن (الأنا) الطاغية(المركز/ السلطة) وبين(الأخر) المُضطَهد(الهامش)، وكيف حقق ذلك الهامش لنفسه موقفا متفوقاً على مضطهده بمرور الزمن، وتمكن بفعل ذلك التفوق من الوصول إلى عالمية البقاء، والنصر في المستقبل البعيد، وهو ما استنتجته السيدة زينب(عليها السلام) في كلامها الموجه إلى يزيد(لعنه الله) في مقدمة كلامها "**ولتردن على الله وشيكا موردهم ولتودن أنك عميت وبكمت وأنك لم تقل فاستهلوا واهلوا فرحا**"[١]، فهذا الاستنتاج نجده في ما وصل إليه يزيد(لعنه الله) من تسفيه، وبغض، وتكفير من جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

إما الموقف الذي نحن بصدد بيانه، موقف الأخر (الهامش) من الأنا الطاغية (المركز)، وكيف لم يستطع ذلك المركز التمتع بالنصر العسكري الذي حققه، بعد أن وجد الهامش الذي تمكن منه عسكريا ينتصر عليه مستقبلينا من خلال صرخاته المكنونة في ذاكرته، ليس ذلك فقط، وإما نجد في ذلك الآخر منذ البداية يحتقر ذلك المركز ويتجاهله، من خلال كلامه الذي ذكره أمامه وأمام الجالسين في مجلسه " **أمن العدل يا ابن الطلقاء**"[٢]، فالمذكور الذي استنجدت به السيدة زينب(عليها السلام) قد نقل يزيد(لعنه الله) ومن إلى زمن فتح مكة، وكيف تعامل النبي (صلى الله عليه واله)، مع مشركي قريش ومنهم جد يزيد وأبوه وأعمامه، بعد أن سألهم، ما أنا فاعل بكم قالو: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: أذهبوا فأنتم الطلقاء، فاستعانة (الآخر) في مجلس (الأنا) بكلمة(الطلقاء)، مقارنة بين موقفين متضادين دل الموقف الأول على نبل النبي (صلى الله عليه واله) بعد أن اطلق اهل مكة حين ظفر بهم، واشار الموقف الثاني إلى خسة يزيد(لعنه الله) بعد الظفر بالحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه(رضوان الله عليهم) وكيف مثَّل بهم وقتلهم وأسر نسائهم وأطفالهم.

وفي موقف أخر من ذات المجلس يظهر تحكم (الآخر) المهمش في ذلك المكان، وكيف بين خسة (الأنا) الطاغية، ونكل بها من خلال تحقيرها، واستصغار قدرها " **مع أني والله يا عدو الله وابن عدوه استصغر قدرك واستعظم تقريعك**"[٣]، فالجمع في كلام السيدة زينب(عليها السلام) بين(يا عدو الله/ وابن عدوه) وبين (استصغر قدرك/ واستعظم تقريعك) نقل المتلقي في ذلك المجلس، أو المتلقي المستقبلي إلى المركز الحقيقي للسيدة زينب بنت علي(عليهما السلام)، وجدها النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، والهامش الواقعي يزيد(لعنه الله) وأبوه، وهو نوع من أنواع المفارقة التي تضمنها الخطاب، من خلال كسر أفق المتلقي الآني في (مجلس يزيد)، وتركه للمتلقي الكوني أو المستقبلي المجال مفتوحا ليطالع ذلك الهامش الحقيقي والمركز المستحق لمركزيته. وعليه

---

(١) بلاغات النساء:٢٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٦ .

(٣) بلاغات النساء: ٢٧ .

يمكن القول أن خطاب السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب(عليهم السلام) تمكن بفعل محتواه، والطريقة التي تعاملت بها السيدة زينب مع الخطاب، وكيف استفزت المتلقي الآني، والمتلقي الكوني أو المستقبلي من جعل كلماتها تحظى بعالمية التواصل، وكيف استطاعت في نهاية الواقعة من تحقيق النصر على المركز الطاغي وبسط سلطتها عليه، وبالتالي فرض شروطها وتمكنها منه، وكل هذا كان لها من خلال توظيف جملة من الأنساق (المكان، الزمان، العلاقات الإنسانية) المتفاوتة في كيفيتها، وتناقض المتلقي في تلقيه مع الرسائل التي تصل إليه من الخطيب مرة، ومن المؤثرات التي عمدت السلطة الى بثها في ذاكرته الثقافية مرة أخرى، وتغيير مواقفه حسب كمية المعلومات التي تصله وتنوعها.

الخاتمة

يمكن للباحث بعد أن عاش مع هذه االمفردات السخية بعطائها، وتقمصها لحظة بلحظة، غائصا في بحرها الذي وجد فيه من الدرر ما يغني ذائقته الثقافية ، إن يُجمل اهم النتائج التي توصل لها من خلال ما يأتي :

- تتضمن النصوص أو تختزن مجموعة من الأنساق لا يمكن حصرها في خطابات أو فضاءات محدودة؛ ذلك لأنها تتميز بخاصية الشمولية.
- تتحول الأنساق المضمرة في العمق التأريخي للخطاب من خلال عولمتها بعد مدة من الزمن، بوساطة ما فيها من المكونات التركيبية(اللفظية أو المعنوية)، والتي أسهمت في تلك العولمة الخطابية وبسط هيمنتها على المتلقي الكوني أو المستقبلي الذي افترضته المُخاطِبة في خِطابِها.
- لا تقف الرؤيا المكانية التي انطلقت منها السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) عند الحدود الحقيقة الواقعية، بل أخذت في مسارات المكان القاصي، أو ما يمكن أن نُطلق عليه المكان الميتافيزيقي(الجنة والنار) لتجد فيها محلا عالميا لقضيتها.
- يتخذ الخطاب من مفارقة الزمن ووجوده الخفي عاملا مفصليا يسعى من خلاله إلى إيصال ما يهدف إليه، فالخطيب الذي يستعمل مفاصل الزمن من أجل ديمومة خطابة، ومحاولة تخليده، يتفاعل في خطابه مع المتلقي العابر للآنية، بمعنى المتلقي الكوني، أو المتلقي المستقبلي، الذي ينحت الخطيب من كلمات رموزا تستقر في ذاكرته وهو ينتقل عبر الزمن، وتحاكي تلك الذاكرة الثقافية الممتدة في الزمن.

- تعامل(الأنا) مع (الأخر) هو نوع من النسق الذي يحكم العلاقات الإنسانية المتضادة والمتصارعة على مر الزمن، ولهذا أشرنا في كون الخطاب الذي ألقته السيدة زينب بنت علي(عليهما السلام) أمتاز بعالميته.
- يمكن القول أن خطاب السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب(عليهم السلام) تمكن بفعل محتواه، والطريقة التي تعاملت بها مع الخطاب، وكيف استفزت المتلقي الآني، والمتلقي الكوني أو المستقبلي من جعل كلماتها تحظى بعالمية التواصل، وكيف استطاعت في نهاية الواقعة من تحقيق النصر على المركز الطاغي(يزيد لعنه الله) وبسط سلطتها عليه، وبالتالي فرض شروطها وتمكنها منه.
- إن تحقيق هدف الخطاب، تمَّ عن طريق توظيف جملة من الأنساق (المكان، الزمان، العلاقات الإنسانية) المتفاوتة في كيفيتها، وتناقض المتلقي في تلقيه مع الرسائل التي تصل إليه من الخطيب مرة، ومن المؤثرات التي عمدت السلطة الى بثها في ذاكرته الثقافية مرة أخرى، وتغيير مواقفه حسب كمية المعلومات التي تصله وتنوعها.

قائمة المصادر والمراجع

- **القران الكريم**
- آفاق العصر، جابر عصفور، مهرجان القراءة للجميع، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٧م.
- بلاغات النساء، وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن، وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام، للإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المولود ببغداد سنة(٢٠٤هـ)، والمتوفى سنة(٢٨٠هـ)، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.
- الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة اسلوبية، د.عبد الرحمن حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٥م.
- زينب بنت علي(عليهما السلام) فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسين بغدادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- السرد السينمائي، فاضل الأسود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.
- السيدة زينب عقيلة بني هاشم(رضي الله عنها)، دكتوره عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ–١٩٨٥م.
- عصر البنيوية، اديث كريزويل، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.
- عقيلة بني هاشم، علي بن الحسين الهاشمي، مطبعة الآداب في النجف الاشرف، ١٣٨٧هـ– ١٩٦٧م.

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧ هـ)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.
- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، تح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصاوي العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- من قضايا الأدب الحديث، محمد عناني، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ميشيل فوكو، تر: أحمد السلطاني وعبد السلام عبد العال، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية– الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥م.

الرسائل والأطاريح

- تحولات السرد العربي القديم، دراسة في الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، د.ضياء عبد الله خميس الكعبي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية/ كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٤م

المجلات والدوريات

- دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، عبد الله حبيب التميمي، وسحر كاظم حمزة الشجيري، مجلة بابل، العلوم الإنسانية، مجلد ٢٢، ع ٢، ٢٠١٤م: ص٣١.